

**Artical History**

---

<b>Received Online</b>	<b>Accepted</b>	<b>Available</b>
<b>31.12.2019</b>	<b>21.01.2020</b>	<b>31.01..2020</b>

---

**OPENNESS OF CRITICISM TO SCIENCE  
-THE CRITICAL PROJECT OF SAID PUMPKIN MODEL-**

**Dr. Ismahane BAADJI<sup>1</sup>**

**Abstract**

This study is based on the idea of combining the concepts and terminology of fine sciences with the principles and principles of literary criticism. Its justification? How did we find the combination of scientific and critical concepts in the project of critic Said Yaqatin? - What is the return on cash ?, The research is based on the following steps:

- Theoretical presentation (criticism and curriculum, science, text(.
- Analytical study of the critical texts of Said Pumpkin
- summary

**Keywords:** literary criticism, curriculum, text, exact sciences, biography.

---

<sup>1</sup> Centre for Scientific and Technical Research on Arabic Language Development, Algeria,  
[baadjiisma@gmail.com](mailto:baadjiisma@gmail.com)

## انفتاح النقد على العلوم -المشروع النقدي لسعيد يقطين أنموذجاً-

د.بجعي إسمهان  
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

### الملخص

تقوم هذه الدراسة على البحث في فكرة الجمع بين مفاهيم ومصطلحات العلوم الدقيقة ومبادئ النقد الأدبي وأسسها وتتخذ من مشروع الناقد سعيد يقطين في نقد السيرة الشعبية مثالا على ذلك؛ حيث نسعى إلى معالجة الإشكاليات التالية:- ما هو الأصل المؤسس لانفتاح الناقد على العلوم؟- ما مسوغاته؟ كيف تجلى لنا الجمع بين المفاهيم العلمية والنقدية في مشروع الناقد سعيد يقطين؟- ما العائد الذي يعود به على النقد؟، ويتأسس البحث على الخطوات الآتية:

-تقديم نظري (النقد والمنهج، العلوم، النص..)

-دراسة تحليلية للنصوص النقدية لسعيد يقطين

خلاصة

الكلمات المفتاحية: النقد الأدبي، المنهج، النص، العلوم الدقيقة، السيرة الشعبية.

### المدخل:

في ظل التطورات العلمية المتسارعة التي يشهدها العالم والتي أنتجت العديد من المصطلحات والمفاهيم الجديدة، أعلن النقد الأدبي انفتاحه وانجذابه نحوها والنهل منها، فقد أصبحت أكثر الدراسات النقدية الأدبية تنبني على ما تقدمه مختلف العلوم؛ وذلك من أجل مشروعية إكساب النقد الأدبي الطابع العلمي وإنتاج معرفة علمية بالأدب وكذا سعيا لإثبات جدارته في سلم العلمية، وتفاديا للتأملات والانطباعات والأيدولوجيات التي أطرت فهمه وتقويمه عبر تاريخه الطويل بوتائر مختلفة. لذا نهدف من خلال هذا البحث إلى الوقوف على أهم المصطلحات وكذا الخلفيات المنهجية التي استند عليها الناقد المغربي سعيد يقطين في قراءته لنص السيرة الشعبية؛ حيث يندرج هذا البحث تحت ما يسمى بنقد النقد ويسعى إلى مقارنة نصوص الناقد وتقديم قراءة مفصلة حولها منتهجين في ذلك منهج التحليل والتركيب والمحاورة من أجل الخروج بقراءة نقدية ناجعة.

**تمهيد:**

حاول النقاد العرب تجديد مناهجهم النقدية عن طريق اتصالهم بالثقافات الغربية واستلهاهم أفكارها ورؤاها الحداثية؛ مما أسفر عن ظهور نوع جديد من الدراسات النقدية الأدبية القائمة على استيراد القوالب الجاهزة الغربية ومحاولة تكييفها مع النصوص الأدبية العربية أملة من وراء ذلك أن تضع الأدب العربي جنباً إلى جنب مع سائر آداب العالم.

إن ما يميز الجهود العربية الرامية إلى تشكيل مناهج نقدية تتوافق والنصوص العربية هو انفتاحها على بقية العلوم الأخرى، ذلك أن النقد العربي قائم في أساسه على استيراد القوالب النقدية الغربية الجاهزة، هذه الأخيرة قائمة على ما تقدمه كل العلوم الإنسانية: علم النفس، علم الاجتماع،... والعلوم التقنية كذلك ك: الرياضيات، الفيزياء..، فالنقد الأدبي الغربي كغيره من العلوم الأخرى خاضع لجملة من القواعد، هذه الأخيرة مأخوذ بعضها من الفلسفة وبعضها من علم النفس، وبعضها الآخر من الرياضيات والعلوم الفيزيائية وغيرها من العلوم الدقيقة.

فالمتمأمل في المناهج النقدية يجدها غير مستقرة في موطن نشوئها؛ حيث نجد لها قبولاً وتداولاً في ثقافات أخرى، وخير دليل على ذلك البنيوي -فرنسي المنشأ- الذي ما لبث أن انتقل إلى الوطن العربي ليتعرض بعد ذلك إلى إعادة القولية والتكييف حتى يتلاءم والنصوص الأدبية العربية.

ويعد المنهج البنيوي أحد أكثر المناهج تأثيراً بالنظريات والمسلمات العلمية خاصة الفيزيائية منها، ويرى جان بياجيه أن البنيوية كما في الرياضيات، تتعارض مع تجزئة الفصول غير المتجانسة محاولين إيجاد الوحدة بواسطة التشاكلات (بياجيه، 1985: ص07).

**1. المنهج البنيوي والعلوم**

يعرف جان بياجيه البنية بأنها: «مجموعة من التحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة تبقى أو تغتني بمجموعة التحويلات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية. وبكلمة موجزة تتألف البنية من ميزات ثلاث: الجملة، التحويلات، الضبط الذاتي» (بياجيه، 1985: ص08)، فالبنية إذن هي كل تعالق بين العناصر المكونة للشيء، تميزها تحويلات بين تلك العناصر المترابطة دونما أي تدخل لأي فعل خارجي مما يحقق للشيء الضبط الذاتي المحيث.

وضمن هذه العلاقة (علاقة الترابط والتحويل) التي تميز المنهج البنيوي، يمكننا تحديد العلاقة الأنية بين الجنس والأثر الأدبيين، كما نستطيع تحديد العلاقة بين الأثر السابق واللاحق (دراسة تاريخية)، حيث إن تحديد الجنس لا يتأتى إلا من خلال البنية النصية للأثر الأدبية، وأن تعقب تطورها التاريخي تبرز تواصل الجنس من ثبات أو تحول. ذلك بأن المنهج البنيوي ودراسة الأدب من زاوية تقبله وانتشاره كما يجزم يابوس،

يكتسبان أهمية مخصصة، لأنهما يكونان طريقة تروم تحديد الموقع التاريخي للآثار ووظيفتها الاجتماعية في نقطة التقاء بين الأنوية- أي نظام العلاقات بين الأجناس والمواضيع والشخصيات- والزمنية أي العلاقات بين الآثار والتراثين السابق واللاحق (شيبيل، 2001: 31).

فالمنهج البنيوي إذن منهج يسعى إلى الكشف عن الأنوية العقلية الكلية العميقة، وأنظمة القرابة، والتصورات الأدبية، والفلسفية، والرياضية، كما أن البنية في ثقافة البنيويين مفهوم تتداخل عدة جوانب في تكوينه: (بيولوجية، طبيعية، فيزيائية، رياضية، فلسفية، اجتماعية، نفسية، لسانية) (بوحوش، 2010: ص79)، فالبنيوية بمعناها الدقيق هي نقل النموذج اللغوي إلى حقول ثقافية أخرى (خليل، دت:ص92)، بما فيها الحقول العلمية (الفيزيائية، الرياضية...) لذا يتسنى لنا من خلال المنهج البنيوي معالجة الآثار الأدبية معالجة علمية، بحيث يكشف عن الكيانات العلائقية ويحدد وظائفها وطبيعة الاختلافات فيما بينها ضمن نظامها اللغوي (الماشطة والركابي، 2016: ص104).

غير أن الكردي (2004: 83) يرى أن دراسة السرد (المنهج البنيوي) هي محاولات لتطبيق منهج علمي على مادة غير علمية، فعلى الرغم من المحاولات الشاقة المبذولة من قبل النقاد لتحديد مادة السرد في عناصر مادية جامدة فإن هذه المحاولات لم تخرج طبيعة السرد عن أصلها الإنساني المتقلب المتمرد على قوانين الثبات (الكردي، 2004: 83)، وهو ما اختلف فيه مع إبراهيم عبد الله حيث يعد السرد مثله مثل المادة الفيزيائية، فهو أشكال تتحول ولكنها لا تنهار<sup>2</sup>، فالمادة الفيزيائية تتغير بفعل عوامل ولكنها تحافظ على صفة الثبات فيها.

## 2. مشروع سعيد يقطين: بين المنهج النقدي الأدبي والأسس العلمية

إن الحديث عن مشروع سعيد يقطين<sup>3</sup> النقدي يستدعي منا الحديث عن مدى تأثيره في أبحاثه الخاصة بالسرديات بالروافد والدراسات الغربية، فيحيلنا بذلك إلى الكشف عن التواصل والاطلاع والمثاقفة بهذه الدراسات التي عكف الناقد على النهل منها وممارستها في مستواها النظري والمنهجي، وقد تجلّى هذا التأثير والتواصل بها في مختلف أعماله، ويمكن أن نسجل تأثير الناقد من خلال كتاباته بعدة اتجاهات نقدية غربية: اللسانية، والشكلانية، والبنيوية، والسيميائية...

<sup>2</sup>- في محاضرة ألقاها إبراهيم عبد الله بجامعة الجزائر 2 بتاريخ: 2016/11/02 على الساعة 10:00.

<sup>3</sup>-مشروع نقدي تمثل في مجموعة من الكتب النقدية المتتالية والمتسلسلة (ذخيرة العجائب، الكلام والخبر، قال الراوي، تحليل الخطاب الروائي، انفتاح النص الروائي)، يرمي من خلاله إلى إعادة قراءة التراث السردية المتمثل في السيرة الشعبية بمناهج غربية مقولبة بحسب الخصوصية الثقافية للنصوص العربية، الأمر الذي جعل من أبحاثه تتجنب السقوط في فخ الذاتية وتتسم بركائز علمية وموضوعية.

فقد استعان الناقد **يقطين** (1997) بالمنهج البنيوي من أجل استكناه الأبنية الدلالية للخطاب السردى ويؤكد ذلك بقوله: «نسلك في تحليلنا هذا مسلكا واحدا، ننتقل فيه من السرديات البنيوية كما تتجسد من خلال الاتجاه البويطقي الذي يعمل الباحثون على تطويره وبلورته بشكل دائم ومستمر» (يقطين، 1997: ص 07-08).

ويؤكد **سعيد يقطين** على ضرورة مراعاة خصوصية النصوص العربية واختلافها عن غيرها وذلك عند معالجتها بالمناهج النقدية الغربية، ذلك أن الكتابات العربية ذات خصوصية ثقافية واجتماعية تميزها عن غيرها تستوجب معالجة وقراءة مختلفة عن تلك القراءات النقدية الغربية.

لقد حاول **يقطين** (1997) -ببحثه هذا- إعادة النظر في التراث وذلك بالأخذ بأسباب البحث العلمي التي تجعلنا نتقدم في فهم الذات العربية والذهنية العربية بما يخدم تطلعاتنا وأفاقنا المستقبلية (يقطين، 1997: 18)، فقد سعى **الناقد** إلى قراءة التراث وإعادة تجنيسه ودمجه ضمن الأدب العربي-بعدها كان نصا مهما ردا من الزمن- بأدوات جديدة وبأسئلة جديدة وبوعي جديد ولغات جديدة، محاولا دراسة الجزء (السيرة الشعبية) وصولا إلى الكل (التراث)، وكذا محاولة منه لتغيير التصور النقدي اتجاه نص السيرة الشعبية.

لذا فإن محاولة **سعيد يقطين** وباعتماده المنهج البنيوي في دراسة التراث السردى العربي تمثلت في عملية تجنيس الكلام العربي عامة والسرد خاصة واعتمدت -في نظرنا- القوانين العلمية الفيزيائية التي تجاري تحول المادة وتبين خصائصها وتركيبها، محاولة منه بالإمساك بتلك البنية السردية وجنسيته المتحولتين، ضف إلى ذلك أن تحول المادة الفيزيائية يكون مرتبنا بالزمن سواء اللحظي أو البعيد (التاريخي)، وهذا ما ينطبق على المادة السردية لأن «كل ما نرويه يحدث في الزمن ويستغرق وقتا..» (Ricœur, 1986: 12)، فالحكاية يتم إنتاجها كغيرها من الأشياء داخل الزمن فهي فضاء داخل فضاء (Genette, 1972: 87) ولهذا كانت بنية السرد وتحولاته كغيرها من الأشياء المادية خاضعة للزمن وتتم داخل فضاء محدد.

ففي عملية تحديده لجنسية السرد العربي استند الناقد إلى تلك القوانين، فقد سمى تلك المعايير التجنيسية بالمبادئ والمقولات والتجليات.

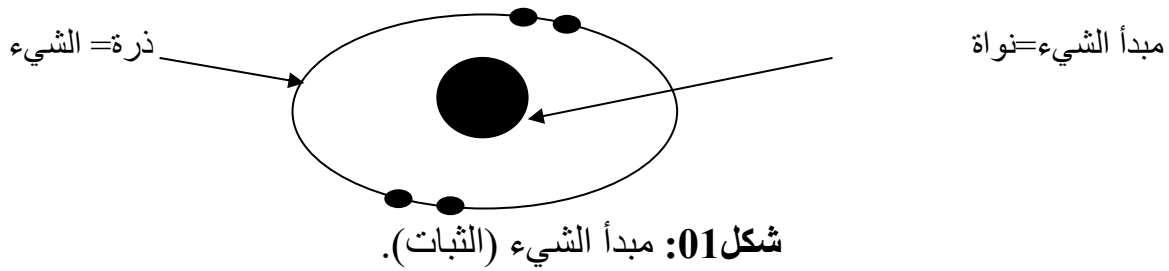
### الأساس الأول: المبادئ:

يقول **يقطين** (1997): «نقصد بالمبادئ الكليات العامة المجردة، و المتعالية على الزمان والمكان، فهي موجودة أبدا، سواء أدركناها بالكيفية نفسها أو بكيفيات مختلفة..حاولنا الوقوف أمام ثلاث مبادئ، نراها كافية ومفيدة في تحديد مختلف الظواهر، ومن بينها الكلام» (يقطين، 1997: 181).

**أ. مبدأ الثبات:**

لأنه يحدد العناصر الجوهرية التي بواسطتها نميز ماهية الشيء عن غيرها من الأشياء الأخرى المتصلة بها أو المنفصلة عنها، حصول هذه العناصر الجوهرية ضرورية لتعيين الشيء، لذلك ربطناها بمبدأ الشيء (يقطين، 1997: 181).

ويستند سعيد يقطين في ذلك إلى المبدأ الفيزيائي والذي يعتبر أن كل الموجدات والأشياء في هذا الكون أساس تركيبها هو الذرة المتماسكة والتي تتكون من نواة (بروتون، نيوترون) ثابتة وإلكترونات أو سحابات إلكترونية متحركة (حركة دورانية) حولها، وأن ما يميز بين هذه الموجدات والأشياء هو الاختلاف في تركيبية كل ذرة من حيث عدد مكوناتها وكيفية تموضعها، وأن بزوال النواة الثابتة يزول الشيء، لذلك فمبدأ الشيء هو النواة (المركز) الثابتة. ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل التالي:



فالشيء هو مجموعة الذرات ومبدؤها هو النواة (المركز) الثابتة.

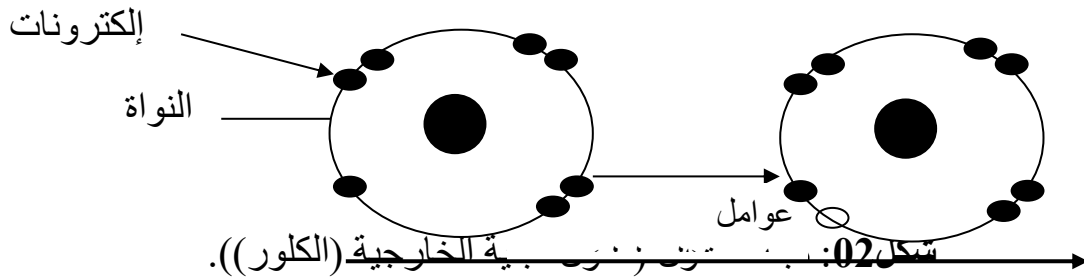
ويمكن أن ندعم رأينا هذا برأي بياجيه (1985) حول البنية وما جاء به من قوانين حولها، خاصة قانون الضبط الذاتي والذي عرفه بأنه الحفاظ على ذاتها والانغلاق على نفسها (بياجيه، 1985: ص13)، وهذا ما ينطبق على الذرة فهي مغلقة على نفسها متماسكة فيما بينها متعادلة على مختلف المستويات (الطاقوية والشحنية). ومن خلال بحث سعيد يقطين التجنيسي يمكننا أن نسقط مبدأ الثبات على الجنس، فالجنس الأدبي ميزته الثبات- حسب الناقد-، حيث تشكل العوامل الثابتة فيه ماهيته وكيونته.

**ب. مبدأ التحول:**

و هو بدوره مبدأ كلي لأنه يتعلق بالظواهر والأشياء، يتعلق بالصفات البنوية للشيء، وهذه الصفات قابلة للتحويل كلما طرأت عوامل جديدة تؤثر في الظاهرة، وتعطي لصفاتها البنوية أوضاعا تتحدد بفعل الشروط المحيطة بها (يقطين، 1997: 181).

ويكافئ هذا التحول التحولات الفيزيائية التي قد تطرأ على شكل المادة دون أن تغير من ماهيتها بسبب عوامل خارجية (قوة)، وتكون هذه التحولات الشكلية لحظية فلا تتطلب زمناً مطولاً.

كما أن هذا التحول ينطبق على بعض المحاليل الكيميائية التي يتم من خلالها تغيير الشكل الخارجي للذرة دون المساس بالنواة (المركز)، كالمحلول الشاردي للكلور الذي يغير من خصائصه الخارجية (عدد الإلكترونات) دون المساس بنواته (المركز الثابت) بفعل عوامل خارجية (المحلول: حيث يكتسب الكلور فيها إلكترونات إضافية)، وهذا ما يسمح لنا بتفسير تحولات الكلور من الحالة الغازية إلى السائلة (الشاردية). يمكن توضيح ذلك عبر الشكل التالي:



فتحول الذرات يتطابق مع تحليل سعيد يقطين وحديثه عن تحول بنية للشيء بفعل عوامل خارجية (السياق الخارجي) دون تحول في مركزه (النواة) الثابت أي ماهيته.

ويمكن أن نفسر هذا بقانون بياجيه (1985) الثاني المتعلق بالبنية والمتمثل في التحويلات داخل البنية والتي تكون عقلانية لا تتغير دفعة واحدة، لكن تبقى كل واحدة منها متضامنة مع عنصر لا يتغير (بياجيه، 1985: 19)، فهذه التحويلات تنطبق على التحويلات التي تمس مكونات الذرة دون المساس بأنويتها الثابتة (العنصر الذي لا يتغير)، كما أن هذا التحول المشروط لا يكون دفعة واحدة.

من خلال ما سبق نجد أن التحول الفيزيائي والذي ينتج عنه تحول في بنية الذرات من حيث عدد الإلكترونات يتطابق مع ما يحصل للأجناس من تحول في البنية الخارجية للنصوص مما يضيف أنواعاً أدبية عديدة منبثقة من جنس واحد ومحافظة على سمات الثبات الخاصة بالجنس التابعة له.

### ت. مبدأ التغيير:

كل الظواهر عرضة للتغيير الذي ينقلها من حالة إلى أخرى مختلفة تماماً، وذلك بفعل تدخل عوامل معينة تتصل مثلاً بالزمن... وتبعاً لذلك تكتسب الظواهر سمات تختلف باختلاف الزمن. لذلك يجب النظر في هذه التغييرات، في ذاتها، ومن زاوية علاقة الشيء المتغير بغيره من الظواهر في الحقبة الزمنية نفسها (يقطين، 1997: 181-182)، أي أن هذه التغييرات ترتبط أساساً بالعوامل الخارجية المتغيرة عبر الزمن.

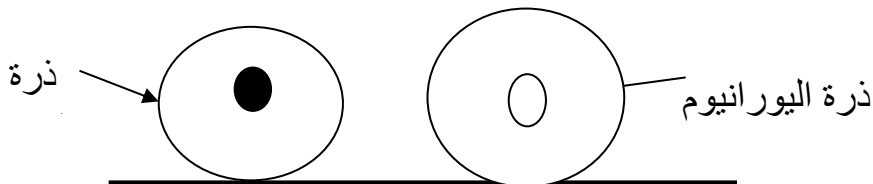


تنطبق هذه التغيرات التي تحدث عنها **سعيد يقطين** على التغيرات التي تطرأ على بعض الذرات والعلاقة التي تربطها وذلك بتدخل عوامل خارجية (الحرارة والضغط). فقطعة الجليد مثلا (مادة فيزيائية) قد تنتقل من حالة صلبة إلى حالة سائلة بفعل عوامل خارجية كالحرارة كما يرتبط هذا التغير بالزمن، فنتغير الحالة الفيزيائية للماء بفعل عوامل خارجية (الحرارة). وقد يعمل الضغط على تغيير الخصائص الظاهرية للكور فينقله من حالة غازية إلى حالة سائلة فنتغير الرابطة التي تجمع تلك الذرات من حالة تشتت إلى حالة أكثر ارتباطا، فتغير خصائص الكور هنا بفعل عوامل خارجية متغيرة عبر الزمن، كما أن هذا التغير يتحدد من خلال العلاقة الخارجية التي تربط ذرات الكور، فإن كانت متباعدة فهي في حالة غازية وإن كانت متقاربة فهي في حالة سائلة. ويمكن أن نفسر هذا بقانون **بياجيه** الأول والمتعلق بالجملة، حيث اعتبر أن الجملة مجموعة العناصر التي تخضع لقوانين تميز المجموعة كمجموعة وتضفي على الكل خصائص المجموعة المغايرة لخصائص المجموعات الأخرى (بياجيه، 1985: 10).

فالتغير حسب **سعيد يقطين** مبدأ يخص الأشكال الخارجية للأشياء ولا يطل البنية الأصلية لها. وهو بالمقابل تغير يطل الحالات الفيزيائية للمادة دون المساس بذراتها فتتغير من حالة إلى أخرى، الشيء نفسه قد يحدث في بعض الأنواع وذلك حين تعثرها بعض التغيرات الخارجية دون المساس بنصوصها كتغير في بدايات النص وخواتيمه أو ما يسمى بالمناسبات، هذا التغير الذي يحدث في النوع الواحد ينتج لنا ما سماه الناقد بالأنماط والمنبتقة من النوع الواحد.

ويمكننا إضافة مبدأ رابع إلى المبادئ الثلاثة السابق ذكرها، يتعلق بتغير مبدأ الشيء الثابت (المركز الثابت: النواة)، حيث أنه يمكن أن يزول الشيء أو يتغير مما يؤدي إلى تغير المادة أو زوالها.

فقد تطرأ تغيرات على بعض الذرات وبدون تدخل عوامل خارجية (الحرارة والضغط) ولكنها تتم من تلقاء نفسها أو بسبب من غيرها ومع مرور الزمن، ونعطي مثال على ذلك تغير ذرة الثوريوم إلى ذرة اليورانيوم وذلك خلال عدد من السنين وسببه فقدان أو اكتساب الذرة لبعض الإشعاعات مما يؤدي إلى تغيير في نواة الذرة ومن ثمة تغيير في ماهية الشيء.



شكل 03: مبدأ التغير (تغير ماهية الشيء (المركز)).

وفي المقابل قد يحدث هذا التغير في النصوص الأدبية فتتغير بنيتها الداخلية (ماهيتها) ومعماريتها، وهذا عبر الزمن بسبب منها (التجليات النصية) أو غيرها (المقولات النقدية)، وهذا ما يفسر ظهور أجناس جديدة ذات بنيات مختلفة عبر الزمن،



وذلك أن الجنس يظهر بالفعل، في التاريخ، مع الآثار الفردية، لكنه لا يذوب فيها بل يتعالى عنها، وكذلك ماهية الجنس تستخرج من المادة التي يمنحها إياها تاريخ الجنس فحسب (شبييل، 2001: 23)، فيتحدد الجنس انطلاقاً من التجليات النصية وعبر مرور الزمن، وهذه التجليات النصية قابلة للتحويل مما ينتج عنه تحول في ماهية الجنس أيضاً.

أما عن زوال المادة الفيزيائية فهو أمر ممكن ذلك أنه وحسب ألبرت اينشتاين أن المادة تتحول إلى طاقة إذا تم قذفها بسرعة الضوء (الطاقة تساوي الكتلة ضرب مربع السرعة)، ويمكن أن نسقط ذلك على الأدب، حيث تصبح المادة الأدبية بهذا المفهوم لا تملك جنساً ثابتاً أو جنساً أعلى، يمكننا من القول عن هذا الجنس بأنه جنس أول، كما لا يمكنه أن يؤول إلى جنس أبدي غير متحول وغير زائل، وهو ما يثبت قول **جنيت** (دت): «لا يوجد مستوى جنسي يمكن اعتماده كأعلى "نظرياً" من غيره» (جنيت، دت: 79)، كما أن الجنس الأدبي كالرواية مثلاً قد يزول مستقبلاً ويتشكل محله جنس آخر لا نعلمه بعد.

إن هذه المطابقة تنفي صفة الثبات على الأجناس الأدبية التي جاء بها سعيد يقطين سواء من حيث التجليات أو من حيث المقولات.

باعتقاد هذه المبادئ الثلاثة الكلية المترابطة رصد **سعيد يقطين** الكلام في (يقطين، 1997: 182):

- ذاته من خلال البحث في عناصره الجوهرية الثابتة (مبدأ الثبات).
- في صفاته البنيوية (مبدأ التحول).
- في تفاعلاته مع غيره، وفي صيرورته (مبدأ التغيير).

يقول **سعيد يقطين**: «إذا كنا بتوظيف المبادئ عملنا على تفصل الكلام إلى ثلاث مراتب، تستدعي ضرورة التحليل الانتقال إلى المقولات لتدقيق تلك المراتب،... وذلك بالاعتماد على المبادئ الثلاثة نفسها» (يقطين، 1997: 182).

### الأساس الثاني: المقولات

المقولات كليات من درجة ثانية ومتحولة، ويقصد بها مختلف التصورات والمفاهيم التي نستعملها لرصد الظواهر ووصفها، وهي متحولة لأن طرائق تمثّل الأشياء تختلف باختلاف الأنساق الثقافية والعصور. ويرى **سعيد يقطين** أن المقولات كيفما كان نوعها تظل عاجزة عن ملامسة ما يتصل بالكلام من أجناس وأنواع وأنماط لاقتصارها على أحد المبادئ (ثبات، تحول، تغيير) (يقطين، 1997: 182-183).

ينطلق الناقد من المبادئ الثلاث (ثبات، تحول، تغيير) لتحديد المقولات النقدية في وصف التجليات والظواهر النصية حيث يجد (يقطين، 1997: 183-184):

### أ. المقولات الثابتة:

وهي تضطلع بالنظر إلى الكلام من جهة الثبات، لذلك يجدها الناقد ترتبط بالجنس. وهو ما يؤكد **القاضي** (1998) وذلك باعتبار «أن التقسيم الثلاثي للأدب لأنواع (غنائي ملحمي درامي) هو الطابق الأول، أما الطابق الثاني فيضم الأجناس وهي تتمثل في الأقسام التي يضمها كل نوع...» (القاضي، 1998: 22)، لتصبح المقولات النقدية الأولى أو ما يعرف بالتقسيم الثلاثي للأدب **لأرسطو وأفلاطون** هي المقولات الأولى والثابتة.

غير أن **جيرار جنيت** ينفي ثبات المقولات النقدية ذلك أنه لا يوجد مستوى جنسي يمكن اعتماده كأعلى نظريا من غيره أو يمكن الوصول إليه بطريقة استنباطية أعلى من غيرها، فجميع الأنواع والأجناس الصغرى والأجناس الكبرى لا تعدو أن تكون طبقات تجريبية وضعت بناء على معاينة المعطى التاريخي ولن يكون هناك مستوى جنسي أعلى طبيعي إلا إذا أهملنا المعايير الطبيعية (جنيت، دت: 76). فلربما كانت تجنيس **أفلاطون وأرسطو** للظاهرة الأدبية أولى المقولات النقدية التي وصلت إلينا لكننا لا نعلم ما إذا كانت هناك تقسيمات (مقولات نقدية) قبلها أم لا مما يجعلنا لا نجزم بوجود المقولات الثابتة والمتعلقة بالجنس.

يعرف **التهانوي** الجنس بأنه: «الضرب من كل شيء. وهو أعم من النوع، يقال الحيوان جنس، والإنسان نوع» (التهانوي، 1996: 594). يستدل سعيد يقطين بقول **التهانوي** غير أن هذا القول لا يحوي على ما يدل على الثبات.

الجنس مقولة ثابتة: وهذا يمكننا من تقسيم مرتبة الكلام الأولى إلى أجناس ثابتة، ومتعالية على الزمان والمكان (يقطين، 1997: 183). ولكن صفة الثبات هنا يستعين بها **سعيد يقطين** للتخلص من اللاتحديد الزمني والمكاني اللذان قد يصعبا عمله في تجنيس الكلام العربي مما يعني اعتماد مقولة الثبات كمرجع ونقطة ابتداء ينطلق منها في كل مراحل عمله التجنيسي، ضف إلى ذلك أن المنهج البنيوي والذي اتخذه سعيد يقطين منهجا يستدعي مركزا ثابتا ينطلق منه.

### ب. المقولات المتحولة:

الأنواع ترتبط بالمقولات المتحولة، هذه الأنواع تختلف باختلاف صفاتها البنيوية. ونجد أن كل جنس من الأجناس قابلا لأن يتضمن مجموعة من الأنواع (وفق علاقة الثابت بالمتحول) (يقطين، 1997: 183)، فالثابت يساعدنا على الإقرار بوجود الجنس أما المتحول فيساعدنا على تبيين نمو الجنس وتطوره (القاضي، 1998: 31) إلى أنواع وهذا التحول يوافقه تحول في المقولات النقدية الخاصة بحقل التجنيس. وتحاول نظرية التطور أو التحول أن تربط بين هذه الأجناس التي أخذت أشكالاً أخرى، وأن تشرح كيف يتولد بعضها من بعض، وأن تكشف عن العنصر المستمر تحت هذا التدرج وعن الوحدة الباقية مع هذا التشقيق (فانسون، دت: 26).

وفي هذا السياق يقول **القاضي** (1998): «إن الأجناس مظاهر جمالية تنشأ في سياق تاريخي معلوم وتتطور وتموت، ولكنها في كلتا الحالتين تتسرب شظايا في مسام

الأجناس اللاحقة وتسري فيها سريان النسغ، فبعض السمات الأسلوبية يمكن أن توجد في أكثر من جنس، ومن ثمة كانت الحاجة ماسة إلى دراسة الأجناس دراسة زمنية ودراسة آنية معاً، فدراسة الأنواع تقوم على عنصر الزمن لتكشف عن تأثر السابق باللاحق» (القاضي، 1998: 41). فدور المقولات المتحولة مواكبة تحولات الأجناس الأدبية وتبين كيفية تحولها ويكون هذا عبر تطورها الزمني.

### ج. المقولات المتغيرة:

ترتبط المقولات المتغيرة بالأنماط، ونقصد بها مختلف الصيغرات التي تتعرض لها الأنواع في تطورها التاريخي وكل ما يطرأ عليها من سمات يجعل بعضها يتميز عن بعض (يقطين، 1997: 184). ويقصد بها مختلف التغيرات الشكلية التي تمس النوع في صيغورته التاريخية والتي تتحدد بالمقارنة مع غيره من الأشكال الأخرى التي تندرج تحت نفس النوع.

لكن هذه التقسيمات تظل من دون معنى ما لم نربطها بالتجليات-يقول سعيد يقطين-، فجنسية النص يجب أن تفهم من خلال التحقق النصي والتحقق النصي يتمثل في مختلف التفاعلات النصية. إن التفاعل النصي يجعلنا نرى مختلف أشكال التفاعل النصي بين النصوص داخل النص الواحد و هذا التفاعل يحقق العلاقات بين الأجناس المختلفة (يقطين، 1997: 184).

يرى سعيد يقطين أن التفاعل بين النصوص داخل النص الواحد هو من يحدد تداخل الأجناس فيه، ويحدد من جهة ثانية جنسية ذلك النص، فالنصية حسب سعيد يقطين لا تتحدد إلا ضمن التفاعل النصي (يقطين، 1997: 184). ومن خلال هذا الترابط بين ما هو جنسي وبين ما هو نصي ضمن نظرية التفاعل النصي، يبحث سعيد يقطين في التجليات النصية من جهة أنواع التفاعل وعلاقتها بإحدى المبادئ الثلاثة التي انطلق منها (يقطين، 1997: 186).

### الأساس الثالث: التجليات:

#### 1. تجليات ثابتة:

يحددها سعيد يقطين من خلال ما يسميه جيرار جنيت معمارية النص. إذ هي التي تتجسد من خلالها جنسية النص. إن معمارية النص تتجلى في النص والبنى النصية الأخرى وأشكال تفاعله معها، وذلك باعتبار أن النص بنية دلالية تنتجها ذات (يقطين، 2006: 35)، وأن البناء مكون عام في جميع الأنواع يفصح عن أدبيتها ويكشف الاختلاف الأساسي بينها (شبييل، 2001: 108)، كما أن هذا البناء النصي الثابت هو من يحدد انتماء النص إلى جنس معين.

#### 2. تجليات متحولة (يقطين، 1997، 186):

تدخل ضمن هذه التجليات التناسل بمختلف أشكاله وصوره. إن أشكال التناسل تتحول بتحول البنيات النصية، وتعطي للنص نصيته الخاصة في نطاق تفاعله مع النصوص التي يتفاعل معها، ويحقق بذلك تميزه عن غيره من النصوص، سواء على مستوى الجنس أو النمط أو النوع، ويمكننا في حالة اعتماد قراءة تاريخية من خلال هذا التجلي النصي أن ننظر في التحولات النصية، وبالأخص على صعيد النوع.

### 3. تجليات متغيرة:

ويدخل ضمنها أنماط التفاعل النصي الباقية التي عددها جنيت: المناص، التعلق النصي والميتانص ويعتبر النوعين الأخيرين صوراً عن المناص.

### خلاصة:

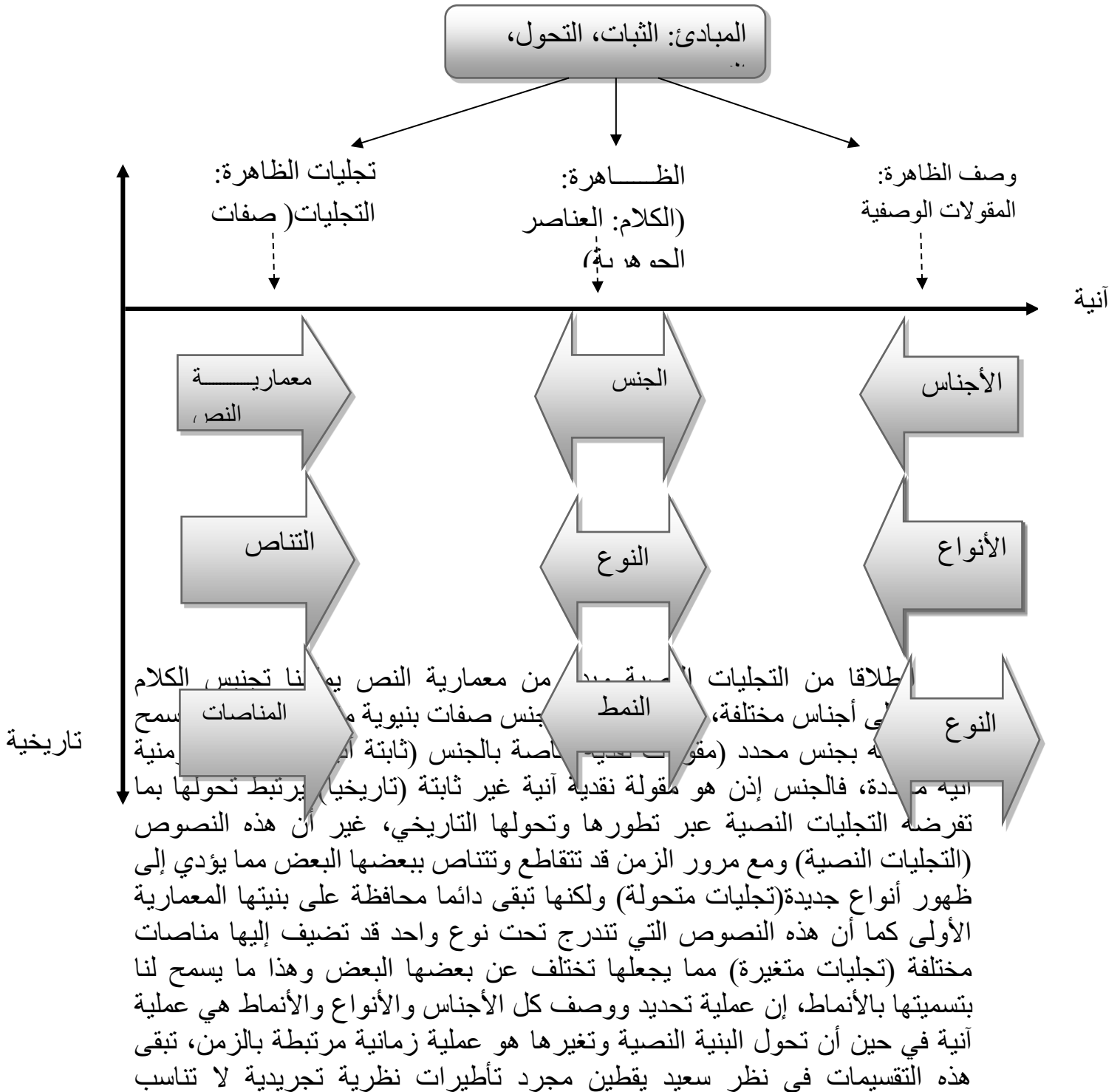
يرى سعيد يقطين أن الكلام خاضع لمبادئ:

- ✓ الثبات: ثبات جوهر الشيء (الكلام).
  - ✓ التحول: شكل الكلام قابل لأن يتحول بسبب عوامل خارجية أنيا.
  - ✓ التغير: شكل الكلام قابل لأن يتغير بسبب عبر صيرورته التاريخية (تاريخيا).
- وللكلام أوصاف رصدها لنا سعيد يقطين عبر مصطلح مقولات (ويقصد بها المقولات النقدية):

- ✓ مقولة ثابتة: تخص الجنس وهو ما اصطلح على التجليات النصية الثابتة.
- ✓ مقولة متحولة: تخص النوع.
- ✓ مقولة متغيرة: تخص النمط.

ويتجلى لنا الكلام عبر:

- تجليات ثابتة: ويقصد بها معمارية النص (بنية النص).
- تجليات متحولة: وهو التناسل أي أن كل النصوص تتشكل من تداخل نصوص أخرى، وتتحول النصوص بتحول البنيات النصية المتدخلة في تشكيله.
- تجليات متغيرة: لكل نص مناصات تميزه عن غيره.



تقسيمات الكلام العربي باعتباره مجالا للتمثيل، وباعتباره أيضا متضمنا لمختلف التجليات اللفظية ذات الخصوصية العربية.

### خاتمة

نستطيع القول أن سعيد يقطين قد وفق إلى حد ما في خلق منهج نقدي متعدد الاتجاهات والمعارف استطاع من خلاله تجنيس النصوص التراثية العربية المهمشة كما استطاع إثبات نصيتها وإدراجها ضمن الأدب العربي العام، مؤسسا بذلك منهجا نقديا جديدا يختص بدراسة النصوص التراثية مراعيًا الجانب الشفوي لها وكذا المرحلة الاجتماعية والثقافية التي أنتجتها.

استطعنا من خلال ما قدمه سعيد يقطين من أسس نقدية تسمح بقراءة السيرة الشعبية أن نجد لها معادلا رياضيا وآخر فيزيائيا، مما يدل على أننا نستطيع معالجة السرد معالجة علمية كغيره من الظواهر الكونية الأخرى.

### المراجع العربية:

- التهانوي، محمد علي (1996): كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، ج2، مكتبة ناشرون، لبنان.
- القاضي، محمد (1998): الخبر في الأدب العربي-دراسة في السردية العربية-، كلية الآداب منوبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الكردي، عبد الرحيم (2004): السرد ومناهج النقد الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.
- الماشطة، مجيد والركابي، أمجد كاظم (2016): مدارس النقد الأدبي الغربي الحديث، دار المنهجية للنشر والتوزيع، الأردن.
- بوحوش، رابح (2010): المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر.
- بياجيه، جان (1985): البنيوية، تر: عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، لبنان.
- جنيت، جيرار (دت): مدخل لجامع النص، تر: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- خليل، إبراهيم محمود (دت): النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، الأردن.
- شبيل، عبد العزيز (2001): نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري-جدلية الحضور والغياب-، دار محمد علي الحامي، تونس.
- فانسون، لابي سي (دت): نظرية الأنواع الأدبية، تر: حسن عون، مطبعة رويال، الاسكندرية.
- يقطين، سعيد (1997): تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- يقطين، سعيد (1997): الكلام والخبر-مقدمة للسرد العربي-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- يقطين، سعيد (2006): انفتاح النص الروائي-النص والسياق-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2006.

### المراجع الأجنبية:

- Genette, Gérard (1972) : Figure III, Seuil, paris.
- Ricoeur, Paul (1986) : du texte à l'action, essais d'Herméneutique, seuil, paris.